

السادات في روايات نجيب محفوظ

لا يختلف الوجود الروائي لأنور السادات في عالم نجيب محفوظ عن الوجود الروائي لجمال عبدالناصر فكلاهما لا يظهر بوضوح وبحرية أيضا إلا بعد رحيله وزوال حكمه، وكلاهما تنقسم حوله الآراء تبعا لطبيعة الشخصيات. وكلاهما يصعب تحديد موقف صارم ومحدد لنجيب محفوظ نفسه تجاهه.

في «امام العرش» يقدم السادات تعريفا موجزا بحياته من الميلاد الى الموت ولدت في قرية ميت ابوالكوم، ونشأت في اسرة فقيرة، ووجدت عنا، لا يستهان به كى استمر في الدراسة وقد تشبعت بروح الوطنية منذ صغرى، وشاركت في المظاهرات الوفدية، ثم امكنتى الالتحاق بالكلية الحربية التي فتحت ابوابها لامثالى من ابنا، الشعب بعد معاهدة ١٩٣٦ ومنذ تخرجى هالنى وضع الجيش تحت سلطة البعثة العسكرية الانجليزية، وخامرتنى افكار الدعوة لثورة مسلحة ضد الانجليز فانشأت اول تنظيم سرى فى الجيش عام ١٩٣٩ وقد اتصلت بالاخوان المسلمين واعجبت بنشاطهم، كما حاولت اثناء الحرب الاتصال بالالمان وعقدت العزم على اغتيال المتعاونين مع الانجليز من المصريين وقد قبض على نتيجة لذلك، وحوكمت، ولكنى نلت البراءة، بل ورجعت الى خدمة الجيش، وفى ذلك الوقت اتصل بى جمال عبدالناصر وضمنى الى تنظيمه

وقامت الثورة فى يوليو ١٩٥٢ وتتابع الاحداث حتى وافى الاجل جمال عبدالناصر فخلفته فى منصبه فى ظرف بالغ الدقة، وكنت على علم بالسلبيات التى نخرت فى عظام عبدالناصر فتوثبت لاحداث ثورة جديدة تنقذ البلاد من الموت الذى تتردى فيه، قضيت على مراكز القوى واتجهت على مهل نحو الامان وسيادة القانون والديمقراطية، وفى ٦ اكتوبر ١٩٧٣ فاجأت العدو المحتل، بل فاجأت العالم بهجوم لم يتوقعه احد، وحققت انتصارا انقذ الروح العربية من القنوط كما انتشل الشرف من الهوان، ثم تسلمت بمغامرة اخرى باقتحامى بلد الاعداء داعيا الى تصفية الموقف بالكلمة لا بالسلاح، وانتهى سعيى الطويل الى معاهدة كامب ديفيد، وناديت بالانفتاح لانقاذ الاقتصاد الوطنى، وتقدمت فى الديمقراطية خطوات جديدة، ولكن اعترضتنى عقبات غيرت من حساباتى فقد انحرفت المعارضة، وهب التيار الدينى يهدد البلاد بالعنف.

فوقفت من الجميع صوقفا حازما لا مفر منه، ولكن
الامور انتهت باغتيالى فى ذكرى اليوم الذى حققت
فيه لوطنى عزة النصر

وهنا مسالتان على درجة عالية من الاهمية
بالنسبة للسادات وموقف نجيب محفوظ منه المسألة

الأولى تتعلق بالسلام، والثانية بحادث الاغتيال الذى
وضع نهاية قاسية لحكم السادات.

لم تكن مبادرة السلام بعيدة عن الظروف الداخلية
التي تمر بها مصر ان نجيب محفوظ يقدم تمهيدا
ماديا داخليا للمبادرة، وارتفعت الاصوات المعارضة
ولكن الاسعار ارتفعت كثيرا وامتلات الاسواق
بالسلع المستوردة، استهلاكية وكمالية، وتحدث
المرهقون عن طبقة جديدة من اصحاب الملايين،
كالوبا، يعرف بانارة وعواقبه ولا ترى مكروباته
بالعين المجردة واذا بالسما تمطر بهشة انست كل

ذى هم همه، دهشة اسطورية لم يتصورها خيال من
قبل، دهشة تتميز بخواص الخوارق وسجايا
المعجزات ونشوة الاساطير عندما عرف واعلن ان
انور السادات مسيهبط بشخصه فى ارض اسرائيل.
وتجمع كثيرون من سكان الارض امام التلفزيون
ليشاهدوا باعينهم كيف تتحدى الارادة البشرية
مجرى التاريخ لتحوله عن مساره الحتمى عنوة وبلا
سلاح. وتجلي اللقاء بين اعداء الامس تصافحت
الايدي تبودلت الضحكات والخطب والصلوات،
وتدفق ماء عذب من شقوق صخر صلد لتصب فى
مجرى ملىء بالحصى.

لغة نجيب محفوظ مليئة بالاعجاب والتأييد
والتعاطف واذا كانت الدهشة تقود كثيرا من
شخصه السياسيين الى المعارضة، فانها تفضى
به الى تأمل ايجابى يرى الفعل الخارق وليس العمل
الخائن، وبصرف النظر عن القوى السياسية
المعارضة لسلام السادات، فان الاغلبية من غير
المباليين بالسياسة كانوا معه

وعندما يهاجم عبدالناصر سلام السادات بقوله:
ثم نزلت عن كل شىء فى سبيل سلام مهين
فطعنن وحدة العرب طعنة قاتلة وقضيت على مصر
بالانعزال والغربة.

يرد السادات:

لقد ورثت عنك وطننا يترنح على هاوية الفناء، ولم
يمد لي العرب يدعون صادقة ووضع لي انهم لا
يرغبون في موتنا كما لا يرغبون في قوتنا كي نظل
راكعين تحت رحمتهم فلم اتردد في اتخاذ قرارى
ويبدو انحيار نجيب محفوظ للسلام فى ختام
المحاكمة عندما ينتقى مجموعة من الزعماء الذين
تمت محاكمتهم، ويضع على لسان كل منهم عبارة
تمثل خلاصة تجربته فهو يؤكد على لسان السادات
اهمية ان يكون الهدف هو الحضارة والسلام.
وبالنسبة لاغتيال السادات فان حلم موته او قتله
يتكرر كثيرا قبل حادث المنصة وهو ما يعبر عن
موقف سياسى لا مثل له عند غيره من الزعماء فى
عالم نجيب محفوظ ولا تنجو ديمقراطية السادات
الناقصة وقراراته القمعية فى سبتمبر ١٩٨١.
هل تصلح كلمة ايزيس فى نهاية محاكمة السادات
للتعبير عن موقف نجيب ورؤيته؟! انها تقول : بفضل
هذا الابن ردت الروح الى الوطن، واستردت مصر
استقلالها الكامل كما كان قبل الغزو الفارسى وقد
اخطأ كما اخطأ سواه واصاب افضل مما اصاب
كثيرون.